شرح قول الإمام الشافعي |ابن أبي يعلى

وقال الربيع بن سليمان قال لنا الشافعي: (أحمد إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة) وصدق الشافعي في هذا الحصر،

* أما قوله **إمام في الحديث**: فهذا ما لا خلاف فيه ولا نزاع، أَكْثَرَ من التصنيف والجمعِ والتأليف، وله الجرح والتعديل

- قال أبو عاصم النبيل يومًا: من تعدُّون في الحديث ببغداد؟ فقالوا: يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وأبا خيثمة ونحوهم. فقال: من تعدُّون بالبصرة عندنا؟ فقالوا: علي بن المديني وابن الشاذكوني وغيرهما. فقال: من تعدُّون بالكوفة قلنا: ابن أبي شيبة وابن نمير وغيرهما؟ فقال أبو عاصم وتنفس: ها، ها، ما أحد من هؤلاء إلا وقد جاءنا ورأيناه، فما رأيت في القوم مثلَ ذلك الفتى أحمد بن حنبل.
- وقال الشافعي لإمامنا أحمد يومًا: (أنتم أعلم بالحديث والرجال، فإذا كان الحديث الصحيح فأعلموني إن شاء يكون كوفيًّا أو شاء شاميًّا حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً). وهذا من دين الشافعي حيث سَلَّمَ هذا العلم لأهله.
- وقال أبو زرعة الرازي: حزرنا حفظ أحمد بن حنبل بالمذاكرة على سبعمائة ألف حديث. وفي لفظ آخر قال أبو زرعة الرازي: كان أحمد يحفظ ألف ألف. فقيل له: وما يدريك؟ قال ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

❁ وأما الخَصْلَة الثانية وهي قوله: **إمام في الفقه**:

فالصدق فيه لائحٌ، والحق فيه واضحٌ، إذ كان أصل الفقه كتاب الله وسنة رسوله وأقوال صحابته، وبعد هذه الثلاثة القياس ثم قد سلم له الثلاث فالقياس تابع.

- وأما نَقَلَةُ الفقهِ عن إمامنا أحمد فهم أعيان البلدان وأئمة الأزمان ... وأما نَقَلَةُ الحديثِ عنه فقد جُمِعَتْ فيهم المصنفات وساقهم الأئمة الثقات.
- وقال الأثرم قلت: يومًا ونحن عند أبي عبيد القاسم بن سلام في مسألة فقال بعض من حضر: هذا قول مَن؟ فقلت: مَنْ ليس بغرب ولا شرق أكبر منه، أحمد بن حنبل. قال أبو عبيد: صدق.
- وقال إسحاق بن راهويه: سمعت يحيى بن آدم يقول: أحمد بن حنبل إمامنا، وقال أبو ثور: أحمد بن حنبل أعلم من الثوري وأفقه.

❁ وأما الخَصْلَةُ الثالثة وهي قوله: **إمام في اللغة**:

- فهو كما قاله قال المروزي: كان أبو عبد الله لا يلحن في الكلام، ولما نوظر بين يدي الخليفة كان يقول: كيف أقول ما لم يُقَلْ.
- وقال أحمد فيما رواه عنه محمد بن حبيب: كتبت من العربية أكثرَ مما كتب أبو عمرو بن العلاء.
- وكان يُسْأَلُ عن ألفاظ من اللغة تتعلق بالتفسير والأخبار فيجيب عن ذلك بأوضح جواب وأفصح خطاب:فروى عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن حديث إسماعيل بن علية عن أيوب عن أبي معشر، قال: يكره

التكفير في الصلاة، قال أبي: التكفير أن يضع يمينه عند صدره في الصلاة.

- وقال عبد الله أيضًا: قرأت على أبي: أبو خالد الأحمر عن ابن جريج عن عطاء قال في الوطواط ثلثي درهم. سألت أبي عن الوطواط؟ قال: هو الخطاف.
- وقال عبد الله بن أحمد أيضًا: سمعت أبي في حديث ابن مسعود كفى بالمعك ظلمًا. قال أبي: المعك المطل.

* وأما الخَصْلَةُ الرابعة وهي قوله: **إمام في القرآن**:

- فهو واضح البيان لائح البرهان، قال أبو الحسين بن المنادي: صنف أحمد في القرآن التفسير وهو مائة ألف وعشرون ألفا يعني حديثًا والناسخ والمنسوخ والمقدم والمؤخر في كتاب الله تعالى وجواب القرآن وغير ذلك.
- وقال عبد الله بن أحمد: كان أبي يقرأ القرآن في كل أسبوع ختمتين، إحداهما بالليل والأخرى بالنهار.
- وقد ختم إمامنا أحمد القرآن في ليلة بمكة مصلِّيًا به.

* وأما الخَصْلَةُ الخامسة وهي قوله: **إمام في الفقر**:

فيا لها خُلَّةٌ مقصودة وحالة محمودة، منازل السادة الأنبياء والصفوة الأتقياء...

* وأما الخَصْلَةُ السادسة وهي قوله: **إمام في الزهد**:

- فحاله في ذلك أظهرُ وأشهرُ، أَتَتْهُ الدنيا فأباها والرياسة فنفاها، عُرضت عليه الأموال وفرضت عليه الأحوال، وهو يَرُدُّ ذلك بتعفف وتعلل وتقلل ويقول: قليل الدنيا يجزي وكثيرها لا يجزي. ويقول: أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء. ويقول: إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس وأيام قلائل.
- وقال إسحاق بن هانئ: بكرت يومًا لأعارض أحمد بالزهد، فبسطت له حصيرًا ومخدة، فنظر إلى الحصير والمِخَدَّة فقال: ما هذا؟ قلت: لتجلس عليه. فقال: ارفعه، الزهد لا يحسن إلا بالزهد. فرفعتُه وجلس على التراب.
- وقال أبو عمير وذُكِرَ عنده أحمد بن حنبل فقال: رحمه الله، عنِ الدنيا ما كان أصبرَهُ، وبالماضين ما كان أشبهَهُ، وبالصالحين ما كان ألحقَهُ، عُرِضَتْ له الدنيا فأباها والبدع فنفاها.

* وأما الخَصْلَةُ السابعة وهي قوله: **إمام في الورع**:

- فصدق في قوله وبرع فمن بعض ورعه: قال أبو عبد الله السمسار: كانت لأم عبد الله بن أحمد دارٌ معنا في الدرب، يأخذ منها أحمد درهمًا بحق ميراثه، فاحتاجت إلى نفقة لتصلحها، فأصلحها ابنه عبد الله، فترك أبو عبد الله أحمد الدرهَم الذي كان يأخذه، وقال قد أفسده علي. قلت: إنما تورَّعَ من أخذ حقِّه من الأجرة خشيةَ أن يكون ابنه أنفق على الدار ممَّا يصل إليه من مال الخليفة.

- ونهى ولَدَيْهِ وعمَّهُ عنْ أخذ العطاءِ من مالِ الخليفةِ فاعتذروا بالحاجة فهجرهم شهرًا.
- وقال إسحاق عم أحمد: دخلت على أحمد ويده تحت خدِّه فقلت له: يا ابن أخي أي شيء هذا الحزن؟ فرفع رأسه وقال: طوبى لمن أخمل الله ذكره.
- وقال صالح بن أحمد: كان أبي لا يدع أحدًا يستقي له الماء لوضوئه.

* وأما الخَصْلَةُ الثامنة وهي قوله: **إمام في السنة**:

- فلا يختلف العلماء الأوائل والأواخر أنه في السنة الإمام الفاخر والبحر الزاخر أوذي في الله عز وجل فصبر ولكتابه نصر ولسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- انتصر أفصح الله فيها لسانه وأوضح بيانه وأرجح ميزانه، لا رَهِبَ ما حُذِّرَ، ولا جَبُنَ حين أُنْذَر، أبان حقًّا وقال صدقًا وزان نطقًا وسبقًا، ظهر على العلماء وقهر العظماء ففي الصادقين ما أوجهَهُ، وبالسابقين ما أشبهَهُ، وعن الدنيا وأسبابها ما كان أنزهَهُ، جزاه الله خيرًا عن الإسلام.
- قال علي بن المديني: أيَّدَ الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما، أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل في يوم المحنة.
- وقال أحمد بن إسحاق بن راهويه: سمعت أبي يقول: لولا أحمد بن حنبل وبذْلُ نفسِه لما بذلها لذهب الإسلام.
- وقال عبد الوهاب الوراق: أبو عبد الله أحمد بن حنبل إمامنا، وهو من الراسخين في العلم، إذا وقفت غدًا بين يدي الله تعالى فسألني بمن اقتديت

أقول: بأحمد، وأيُّ شيء ذهب على أبي عبد الله من أمر الإسلام وقد بلي عشرين سنة في هذا الأمر؟

فهذه الثمان التي ذكرها **الشافعي** -**رحمه الله**-.

المصدر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى